مصارع الخلفاء

مشاهد رائعة نقلها عن التاريخ

ك . ك

مصرع علي (١)

فضربوا حيدرا (٢) ساجدا وحسبك من عمر اذ طعن

« أبو العلاء »

ترجمته

من ذكر عليا فقد ذكر أسمى الصفات الانسانية.

النزاهة ، الاستقامة ، الشجاعة ، الصراحة ، النبل ، القوة ، الفطنة

---

(١) رابع الخلفاء الراشدين ، مكث في الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر ، وقتل سنة ٤٠ هـ كنيته ابو الحسن واسم ابيه ابو طالب

ولي (علي) الخلافة بعد مقتل عثمان بعد ان بايعه أهل الحجاز وكاد يستتب له الأمر لولا الفتنة التي أضرم نارها معاوية متخذاً من مقتل عثمان ذريعة لتحقيق امله في الخلافة والوقوف في وجه علي

صفته

قالوا :

هو رجل آدم ، شديد الأدمة ، ثقيل العينين عظيمهما ، أصلع ، ذو بطن ، وهو الى القصر أقرب

(٢) يعني علي بن ابي طالب ، وقبل هذا البيت يقول ابو العلاء :

وان اوجز ما يقال في علي انه اقتبس اكبر قبس من اخلاق النبوة ، وعرف كيف يستفيد من اخلاق الرسول

ربما قال قائل : —

ولكن عليا كان شديد البطش ، وقد الف الناس من ليونة عثمان ما جعلهم ينفرون من الشدة !

ذلك حق ، وليت عليا — رضي الله عنه — تريث قليلا فلم يعزل بعض الولاة وهم بعزل الباقين قبل ان يستتب له الأمر ، وتستقر له الخلافة ؟ ولكنها الصراحة تأبى عليه ان يعلن خلاف ما يضمر ، والغيرة على الحق تدفعه الى الذود عنه ، جالبا عليه من عداوة الناس ما جلب !

كان عثمان ليناً فأطمع لينه الناس فيه ، وكان (علي) شديدا ، فانتقم خصومه بهذه الشدة ، فاستمالوا الناس اليهم بما أوتوه من دهاء وحذق ، وحسبك أن تعلم أي قوتين حائلتين من قوى العالم النادرة ، كانتا تناوئانه لتلتمس له الف عذر !

لقد تعاونت سياسة معاوية ، ودهاء ابن العاص ، على استغلال صراحة علي واستقامته ، فلم يتركا وسيلة من وسائل المكر والحيلة الا سلكاها ، ولا دعوى من دعاوي الكيد الا أذاعاها ، حتى اوهما انصارهما انه قاتل عثمان وانه مستميت في طلب الخلافة ، بل نحلاه ما هو اكثر من ذلك وأشنع ، والصقا به من الصفات ما يعلمان علم اليقين أنه أبعد الناس عنها ، وأشدهم براءة منها

حسب القاريء أن يذكر المثال التالي ، ليعرف مدى دعايتهما ، ومقدار ما تحدثه مثل هذه المفتريات في نفوس الناس والهاب قلوبهم حماسا وبغضا لعلي !

قال بعض من شهد تلك المعارك الحائلة :

« فأتيهم لكذلك اذ خرج عليهم فتى شاب وهو يقول :

انا ابن أرباب الملوك غسان والدائن اليوم مدين عثمان

لقد فقدت الخير بين الأنام فالشر في كل وجه يمن

اعن بجميل اذا ما حضرت وعد بالسكوت اذا لم تعن

ان جاءك الموت فافرح به لتخلص من عالم قد لعن

اني اتاني خبر فأشجاني ان عليا قتل ابن عفان ،

ثم يشد ، فلا يلتفت حتى يضرب بسيفه ، ثم يشتم ويلعن ويكثر الكلام ، فقال له (هاشم بن عتبة) :

« يا عبد الله ان هذا الكلام بعده الخصام ، وان هذا القتال بعده الحساب ، فاتق الله ، فانك راجع الى الله فسائلك عن هذا الموقف ، وما أردت به ! »

قال : « فاني اقاتلكم لأن صاحبكم (١) لا يصلي ، كما ذكر لي ، وانتم لا تصلون أيضا ، واقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا وانتم اردتموه على قتله (٢) ! »

---

(١) يعني عليا

(٢) قالوا : فاجابه هاشم:

« وما انت وابن عفان ، انما قتله أصحاب محمد وأبناء أصحابه وقرأ الناس حين أحدث الأحداث ، وخالف حكم الكتاب وهم أهل الدين واولى بالنظر في امور الناس منك ومن اصحابك ، وما أظن أمر هذه الامة وأمر هذا الدين أهل طرفة عين ! »

فقال له : « أجل والله ، لا اكذب فان الكذب يضر ولا ينفع »

قال : فان أهل هذا الأمر أعلم به ، فخله وأهل العلم به !

قال : ما أظنك والله الا نصحت لي !

قال : « وأما قولك : ان صاحبنا لا يصلي ، فهو أول من صلى وأفقه خلق الله في دين الله ، واولى بالرسول !

وأما كل من ترى معي فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجدا ، فلا يفوتنك عن دينك هؤلاء الاشقياء المغرورون »

فقال الفتى :

اني أظنك امرأ صالحاً ، فتخبرني هل تجد لي من توبة

فقال : نعم يا عبدالله ! تب الى الله يتب عليك ، فانه يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ويحب المتطهرين !

قال : فخسر والله الفتى الناس راجعا

فانظر الى أي مدى طوح بهما الكيد لعلي بن أبي طالب والرغبة في تأليب الناس عليه!

على أن عليا ظل منتصرا رغم كل هذه الدسائس، وكاد يتم له الأمر لولا حيلة ابن العاص التي لجأ اليها أخيراً، حين رفع المصاحف ودعا عليا الى التحكيم، فافترق أصحابه شيعاً، ودب في صفوفهم دبيب الشقاق والفتنة، وانتهى الأمر بمصرعه المروع

ليلة المصرع! وساعة الهول!

قال محمد بن الحنفية:

كنت والله، واني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي، في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريبا من السدة، مامم الا قيام وركوع وسجود، وما يبرحون من أول الليل الى آخره

اذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي:

أيها الناس! الصلاة! الصلاة!

فما أدري أخرج من السدة فتكلم بهذه الكلمات أم لا!

فقال له رجل من أهل الشام:

« خدعك العراقي! خدعك العراقي!

قال: « لا، ولكن نصح لي! »

الا ترى الى هذا الصنف من الناس يستميله رأي فيعتنقه، ولا يحجم عن بذل آخر قطرة من دمه في سبيل نصرته وتأييده، فاذا سمع رأيا يناقضه عدل عن رأيه الأول

بربك كم يكون عدد أمثال معاوية وابن العاص على مثل هذا من الناس، وأحب أن انبه القارئ الى نقطة هامة في قول هشام هذا، ذلك أنه يؤيد في كلته — أو هو على الأقل — لا يحاول نفي تهمة قتل عثمان عن علي، تلك التهمة التي يبني عليها خصومهم كل دعاواهم الطويلة!

فنظرت الى بريق وسمعت : « الحكم لله يا علي ! لا لك ولا لأصحابك »
فرأيت سيفاً ، ثم رأيت ثانياً ، ثم سمعت عليا يقول :
« لا يفوتنكم الرجل ! »
وشد الناس عليه من كل جانب
قال : فلم أبرح حتى أخذ « ابن ملجم » وأدخل على « علي » فدخلت فيمن دخل من الناس ، فسمعت عليا يقول : « النفس بالنفس » إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني ، وان بقيت رأيت فيه رأيي ! »

وصاياه قبل موته

وقبل أن تفيض روحه الطاهرة الى بارئها ، تقية بارة ، رسم لبنيه صورة يحتذونها ، أوجز ما نصفها به انها تمثل منزعه وتصف ما امتازت به نفسه من خلال عالية واخلاق سامية فريدة ، هي جماع الفضائل :
قالوا : ان أحد الناس قد دخل عليه ، فسأله :
يا أمير المؤمنين ! إن فقدناك — ولا نفقدك — فنبايع الحسن ،
فقال : « ما آمركم ولا أنهاكم ! أنتم أبصر ! »
فرد عليه مثلها
قالوا : « فدعا حسنا وحسينا ، فقال : »
اوصيكما بتقوى الله ، وألا تبتغيا الدنيا وان بغتكما ، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، واغيثا الملهوف ، واصنعا للآخرة ، وكونا للظالم خصما ، وللمظلوم ناصرا ، واعملا بما في الكتاب ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم
قالوا : « ثم نظر الى محمد بن الحنفية ، فقال : « هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : « نعم ! »
قال : « فاني أوصيك بمثله ، واوصيك بتوقير اخويك العظيم حقهما عليك فاتبع أمرهما ، ولا تقطع امراً دونهما ! » ثم قال :
اوصيكما به ، فانه شقيقكما وابن ابيكما ، وقد علمتما أن أبا كما كان يحبه وهكذا الى آخر هذه الوصية الناطقة الخالدة

وصيته الاخيرة

قالوا : « فلما حضرته الوفاة أوصى فكانت وصيته :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به (علي بن أبي طالب) ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ! ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا من المسلمين ،

ثم أوصيك يا حسن ، وجميع ولدي وأهلي ، بتقوى الله ربكم ، ولا تموتن إلا وانتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فاني سمعت أبا القاسم — صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام ! »

انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم ، يهون الله عليكم الحساب ، الله الله في الايتام ، فلا تعنوا أفواههم ، ولا يضيعن بحضرتكم ، والله الله في جيرانكم ، فانهم وصية نبيكم ، صلى الله عليه وسلم — ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه ، والله الله في القرآن ، فلا يسبقنكم الى العمل به غيركم وهكذا الى أن يقول :

« والله الله في الفقراء والمساكين ، فأشركوهم في معايشكم ، والله الله فيما ملكت ايمانكم » ثم يقول : « ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولي الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتبادل وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب ! حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم ، أستودعكم الله ، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله !

الجملة الاخيرة

قالوا : « ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله » حتى قبض ، رضي الله عنه ، وهكذا انتهت حياة هذا البطل ، وختم تاريخه الحافل بجلائل الاعمال !

وسنجمل أهم الاسباب التي أدت الى مصرعه ، في العدد القادم ان شاء الله !